الفصل الخامس

الواقعية الاشتراكية

إن هذا الاصطلاح تم استعماله في آداب الاتحاد السوفييتي في العشرينات من هذا القرن، حسب ما يذكر «غروموف»، وذلك «عندما كان يجري البحث عن اسم يعمّد به الوليد الجديد»[١]، وهو ذلك الفن ا لذي نتج عن الثورة الاشتراكية ليعبر عنها ويلائم مبادئها. وهناك اختلاف طفيف بين النقاد والمنظرين حول تعريف الواقعية الاشتراكية، فالناقد «مويسي كاجان» يراها بمثابة «إعادة الخلق الصادق للحياة وفق معيار المثل الأعلى الاشتراكي»[٢]، و«غروموف» يرى أنها «منهج» فني جديد يتخذ المبادىء «الماركسية اللينينية» أساساً فكرياً فلسفياً له[٣]. أما «شولوخوف» فيرى أنها «نظرة إلى العالم، ترفض مجرد تأمل الواقع والانسحاب منه، وتدعو إلى النضال من أجل تقدم البشرية»[٤]. بينما يرى بعض النقاد «الواقعية الاشتراكية منهجاً فنياً يتمثل جوهره في الانعكاس الصادق المحدد تاريخياً للواقع في تطوره الثوري، أي في مسيرة المجتمع نحو الشيوعية»[٥].

ولا نريد الآن أن نخوض في تعاريف الواقعية الاشتراكية أو نناقشها ثم نفضل تعريفاً على آخر أو نضع تعريفاً شاملاً لها في هذه العجالة، وإنما نترك قضية التعريف مكتفين بالمفهوم الذي سوف يتضح لنا من خلال تعرضنا لأهم خصائص هذا المذهب الأدبي فيما بعد، وحينئذ، فإنه يمكن الاستغناء عن أي تعريف.

وقد نشأت الواقعية الاشتراكية في فن الأدب قبل غيره من الفنون الأخرى، كالرسم والنحت، والموسيقى، والسينما. وذلك عائد بالدرجة الأولى إلى تلك العلاقة الوثيقة بين الأدب والفكر والفلسفة.